المقدمة

مكانة السنة في الدين الإسلامي

اصطفى الله سبحانه وتعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وأعده اعدادا كاملا ليتحمل أسمى رسالة يعطر بأريجها الدنيا : تزكيه للنفوس وتطهيرا للقلوب وتثبيتا للعقيدة الصحيحة وسيرا نحو النور في الطريق المستقيم في ميدان العقيدة والشريعة .

فأنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (١) » .

وأشرق ذلك الكتاب المبين يحمل في نفسه دليل صدقه ذاتيا وهو الدليل الخالد على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به . وكان المعجزة الكبرى الذي تحدى الانس والجن « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (٢) » .

وعرف أرباب الفصاحة والبلاغة حلاوته وطلاوته وبلاغته وفصاحته وأيقنوا أنه ليس من كلام البشر وأن الذي جاء به انما هو رسول رب العالمين . وحمل القرآن الأسس الكامنة للرسالة العامة الخالدة « قل يأيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا (٣) » .

---

(١) سورة البقرة الآية ٢ .
(٢) الاسراء الآية ٨٨ .
(٣) الأعراف الآية ١٥٨ .

وأمره الله بتبليغه :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين (١) » .

ولكن هل كل العقول مستعدة لفهم كل ما جاء به القرآن ؟ .

واذا فهمته من سبيل الى تفصيل اجماله وبيان ابهامه ؟ اذن لابد من البيان والتفصيل والتوضيح فأمر الله نبيه فى كتابه ان يبين للناس ما نزل اليهم بسنته .

قال تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون (٢) » . « وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٣) » .

وتكفل الله بعصمة الرسول وامداده بالوحى وعصمته عن الخطأ والهوى فى كل ما يأتى به من قرآن وسنة فيها بيان للقرآن أو تشريع مستقل « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى (٤) » .

« فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه (٥) » .

ومهد له الطريق وعبده لتذليل مهمته فأمر الناس بطاعة الرسول ونص فى قرآنه على أنها طاعة لله كما نص على أنه لا خيرة فى الأمر بعد كلام الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا (٦) » . وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون (٧) » . وقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

---

(١) المائدة الآية ٦٧ .
(٢) سورة النحل الآية ٤٤ .
(٣) النحل الآية ٦٤ .
(٤) النجم الآية ٣ ، ٤ ، ٥ .
(٥) سورة القيامة الآية ١٨ ، ١٩ .
(٦) سورة النساء الآية ٨٠ .
(٧) الانفال الآية ٢٠ .

فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما (١) » .

قال ابن القيم (٢) : أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على نفى الايمان عن العباد حتى يحكموا رسوله فى كل ما شجر بينهم من الدقيق والجلى ولم يكتف فى ايمانهم بهذا التحكيم بمجرده حتى ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه ولم يكتف منهم أيضا بذلك حتى يسلموا تسليما وينقادوا انقيادا اهـ .

وقال الامام الشافعى (٣) : نزلت هذه الآية فيما بلغنا والله أعلم فى رجل خاصم الزبير فى أرض فقضى النبى صلى الله عليه وسلم بها للزبير وهذا القضاء سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حكم منصوص فى القرآن اهـ .

فكل ما جاء به الرسول وأثر عنه من السنة فاتباعه انما هو واجب لصريح أمر الله فى قرآنه باتباعه وهو بالتالى اتباع لله وقرآنه وهذا صريح فيما تقدم وفى قوله تعالى : « (٤) وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . وأخبر تعالى ان الرسول أوتى القرآن والحكمة وهما مصدرا التشريع فقال : « (٥) لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » وذهب جمهور العلماء والمحققين بأن الحكمة هى السنة وجزم بهذا الامام الشافعى لتغايرهما بالعطف وهى فى مقام المنة ولم يوجب علينا الا اتباع الرسول فلا يمكن أن تكون شيئا آخر غير السنة . « من يطع الرسول فقد أطاع الله (٦) » .

وحب الله فى اتباع الرسول وسنته .

« قل (٧) ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » .

---

(١) النساء الآية ٦٥ .
(٢) اعلام الموقعين جـ ١ ص ٥٧ لابن قتيبه
(٣) الرسالة ص ٨٣ للشافعى .
(٤) سورة الحشرة الآية ٧ .
(٥) سورة آل عمران الآية ١٦٤ .
(٦) سورة النساء الآية ٨٠ .
(٧) سورة آل عمران الآية ٣١ .

فالقرآن هو الأصل الأول فى الدين الداعى الى السنة ، والسنة هى الأصل الثانى فى الدين ، وهى المبينة للقرآن المفصلة لاجماله والمستقلة بالتشريع ، فيها يعرف مثلا أوقات الصلاة وعدد ركعاتها وسجداتها وما يقيمها أو يبطلها مما لم يفصله القرآن ، بل أجمله فى الأمر بالصلاة • كما انفردت السنة ببعض الأحكام مما لم يذكره القرآن مثل تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها ، وتحريم الحمر الأهلية وكل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير ، الا أن مثل هذه الأمور يمكن ان يقال بأنها ليست مستقلة استقلالا تاما عن القرآن حيث ان الأخذ بها مندرج تحت أمر القرآن باتباع الرسول وسنته ، وأخرج أبو داود والترمذى عن المقدام بن معد يكرب قال : قال رسول الله صلى الله عيه وسلم : « يوشك رجل منكم متكئا على أريكته يحدث بحديث عنى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله • زاد أبو داود — الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه » والماثلة للكتاب هى السنة •

ومن رياض السنة تفجرت ينابيع التفسير بالمأثور ، ومن رياض القرآن والسنة تكونت ثروة الفقه الاسلامى ، وهما أصل مصادر التشريع ، وهما ميزان العدل الالهى الصادق ، وعلى هديهما يستطيع المصلحون فى كل وقت أن يقيسوا أعمال الأفراد والجماعات والأمم ، ولا يكون الاعتدال الكامل فى الأخلاق والمعاملات والعبادات الا بالكتاب والسنة •

وقد توفى الرسول بعد أن ظل يعلم الناس بمكة والمدينة مركزى أشعاع الدعوة الى الدنيا ثلاثا وعشرين سنة يقيم للناس معالم الدين على منهاج الحق بالكتاب والسنة ، وتوفى وهو مطمئن الى أنه تركهما لنا ميزان حق وصدق لن نضل ما تمسكنا بهما ، قال صلى الله عليه وسلم : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى — كتاب الله وسنتى » •

مسجد الامام البخارى فى قرية خرتنك قرب سمرقند

جمع السنة وتدوينها

من عصر الصحابة إلى عصر البخاري

بعث الله فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وببعثة الرسول وتلاوته الكتاب والحكمة النبوية وهى السنة زكت وطهرت قلوب وعمرت صدور بالايمان فأقبلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلمون الكتاب والحكمة وأزكى فيهم ذلك الاقبال قدوة حسنة متمثلة فى الرسول وبلاغة نادرة متمثلة فى الكتاب والسنة وذوق عربى أصيل فى الصحابة حبب اليهم الكتاب والحكمة ، وذاكرة واعية ضربوا بها المثل الأعلى فى قوة الحفظ اسعفتهم بتسجيل ما يلقى عليهم من الرسول ووضعوه فى صدورهم الأمينة التى طهرها الاسلام .

والقرآن يدفعهم ويوجههم الى العناية بالسنة واتباع الرسول ، والرسول يفسر ويشرع بالسنة وهم يحفظون . ومعلوم أن القرآن نزل فى خلال ثلاثة وعشرين عاما فكان الرسول يبلغ الآيات ويفسرها وتطبق عمليا وفى ذلك يقول أبو عبد الرحمن السلمى (١) : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود — انهم كانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ... قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ونهج النبى معهم المنهج التربوى فكان يتخولهم بالموعظة كراهة السآمة وفى ذلك تثبيت للمعلومات .

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٤ .

روى البخارى بالسند المتصل عن ابن مسعود قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة فى الأيام كراهة السآمة علينا (١) » .

والقرآن يدعوهم الى العلم « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (٢) » والسنة تدعوهم الى العلم روى البخارى بالسند المتصل قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفهمه » وانما العلم بالتعلم « وفى رواية » من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، « ويأمرهم النبى بالتبليغ ويقول لهم بعد المقالة بعض الأحيان .

« هذا فليبلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه (٣) ودعا لمن أدى مقالته كما حفظها فقال : نضر الله امرءا سمع مقالتى فحفظها ووعاها حتى يبلغها « وقد التزموا أوامر رسولهم وتفانوا فى الحرص على تبليغ العلم روى البخارى قال أبو ذر رضى الله عنه « لو وضعتم الصمصامة « السيف » على هذه وأشار الى قفاه ثم ظننت أنى أنفذ كلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تجيزوا على « تقطعوا رأسى » لأنذتها (٤) « وقال ابن عباس » : « كونوا ربانيين حكما فقهاء ، ويقال الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره » وكان من عناية الصحابة بحديث النبى أنهم كان الواحد منهم اذا شغله عمل أرسل صاحبه الثقة ليخبره بما يقول الرسول فكانوا يتناوبون فى السماع ويبلغ الشاهد الغائب ويسأل الشاهد وسطروا السنة على صفحات قلوبهم ووعوا كل ما سمعوا وما شهدوا وحرصوا على نشره وتبليغه وتعاون ثقات المجتمع الاسلامى من الصحابة فى حياة الرسول وبعد وفاته على حراسة سنة نبيهم وهل يشق على الآلاف الثقات من الصحابة المخلصين حراسة تراث رجل واحد رأوا فيه سعادتهم فى الدينا والآخرة ؟ وعدتهم فى ذلك ايمان عميق بنبيهم وبسمو سنته وذاكرتهم الواعية التى فاقوا فيها جميع الأمم وشعورهم الفياض

---

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ من كتاب العلم .

(٢) سورة الزمر الآية ٩ .

(٣) صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ من كتاب العلم .

(٤) صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠ من كتاب العلم .

بأن السنة هى سنة رسول رب العالمين ، فلو تخصص عشرة من الصحابة وحفظ كل واحد منهم فى صدره ما يساوى كمية نصف القرآن الكريم الذى حفظوه لكانوا جديرين بجراستها فما بالك وقد جند لها آلاف الثقات الحفاظ أنفسهم ؟ .

هذا فضلا عن ان منهم من بدأ يكتب الحديث فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وان لم يكن التدوين عاما فقد كانت هناك صحائف خاصة . كان عبد الله بن عمرو رضى الله عنه كاتبا محسنا اشتهرت صحيفته التى دون فيها الحديث (بالصحيفة الصادقة) لأنه كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة فهى أصدق ما يروى عنه ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص لمجاهد هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بينى وبينه أحد (١) وكانت عزيزة عليه للغاية حتى كان يقول ابن عمرو « ما يرغبنى فى الحياة الا الصادقة والوهط (٢) وكان لجابر بن عبد الله الانصارى صحيفة (٣) وكان لأنس ابن مالك صحيفة كان يبرزها اذا اجتمع الناس (٤) واشتهر ابن عباس بطلب العلم ودأبه عليه وكان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم يسأل الصحابة ويكتب عنهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا له كما فى صحيح البخارى فى باب العلم بالسند المتصل عن ابن عباس قال :

ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم علمه الكتاب وفى الكفاية (٥) اللهم علمه الحكمة وعلمه التأويل ولهمام بن منبه صحيفة وتسمى الصحيفة الصحيحة وهو أحد أعلام التابعين رواها عن أبى هريرة (٦) ويقول الأستاذ الندوى أن تأليف هذه الصحيفة يرجع الى أواسط القرن الأول ، لأن أبا هريرة توفى سنة ٥٨ هجرية وهى من أملاء

---

(١) المحدث الفاصل للرامهرمزى ـ تقييد العلم ص ٨٤ وجامع بيان العلم وفضله .

(٢) سنن الدارمى ج ١ ص ١٢٧ والوهط أرض لعمرو بن العاص تصدق بها ووقفها .

(٣) جامع بيان العلم ج ١ ص ٧٤ تدوين السنة ص ٣٤٨ .

(٤) تقييد العلم ص ٥ .

(٥) الكفاية ص ٢١٣ .

(٦) قال مؤلف السنة قبل التدوين ص ٣٥٦ قد وصلتنا صحيفة همام كاملة كما دونها عن أبى هريرة عثر عليها الدكتور محمد حميد الله فى مخطوطتين متماثلتين .

أبى هريرة ويقرر الأستاذ أبو الحسن الندوى (١) متفقا مع صاحب تدوين الحديث : العلامة مناظر أحسن الكيلانى (٢) رئيس القسم الدينى العلمى بالجامعة العثمانية بحيدر آباد بأنه اذا جمعت هذه الصحف والمجاميع وما احتوت عليه من الأحاديث كونت العدد الأكبر من الأحاديث النى جمعت فى الجوامع والمسانيد والسنن فى القرن الثالث وهكذا يتحقق آن المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث سبق تدوينه وتسجيله من غير نظام وترتيب فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم وقد شاع فى الناس — حتى المثقفين والمؤلفين — أن الحديث لم يكتب ولم يسجل الا فى القرن الثالث الهجرى وأحسنهم حالا من يرى أنه قد كتب ودون فى القرن الثانى وما نشأ هذا الغلط الا عن طريقتين •

الأولى : ان عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر تدوين الحديث فى القرن الثانى ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التى كتبت فى القرن الأول لأن عامتها فقدت وضاعت مع أنها اندمجت وذابت فى المؤلفات المتأخرة •

الثانية : انهم لا يتصورون سعة هذه الصحف لكثرة الأحاديث الموجودة ويقول الكيلانى قد يتعجب الانسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية فيقال أن أحمد بن حنبل كان يحفظ أكثر من سبعمائة ألف حديث وكذلك يقال عن أبى زرعة ويروى عن الامام البخارى أنه كان يحفظ مائتى ألف من الأحاديث الضعيفة ومائة ألف من الأحاديث الصحيحة ويروى عن مسلم أنه قال جمعت كتابى من ثلاثمائة ألف حديث ولا يعرف كثير من المتعلمين فضلا عن العامة أن الذى يكون هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد فحديث (انما الأعمال بالنيات ••)

---

(١) رجال الفكر والدعوة لابى الحسن الندوى ص ٨٢ وهو عضو المجمع العلمى العربى بدمشق ومن أعلام الهند •

(٢) تدوين الحديث للعلامة مناظر أحسن الكيلانى « فى اللغة اردو » طبع المجلس العلمى بباكستان •

يروى من سبع مائة طريق فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل من الأحاديث : وقد صرح الحاكم أبو عبد الله الذى يعتبر من المتسامحين المتوسعين أن الأحاديث التى فى الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف .

ومعظم هذه الثروة الحديثية قد كتبت ودونت بأقلام رواة العصر الأول ، وقد يزيد ما حفظ فى الكتب والدفاتر كتابة وتحريرا فى العصر النبوى وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم على عشرة آلاف حديث اذا جمعت صحف ومجاميع أبى هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وعلى بن أبى طالب وابن عباس رضى الله عنهم فيمكن أن يقال أن ما ثبت من الأحاديث الصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتب ودون فى عصر النبوة وفى عصر الصحابة قبل أن يدون الموطأ والصحاح بكثير (١) أ هـ . وهكذا تعاون الحفظ والتدوين على حفظ سنة النبى صلى الله عليه وسلم فى عصر الصحابة وعضوا عليها بالنواجز وعرفوا قدرها ، ولا نغفل ما حصل من أمر الوضع فى الحديث منذ أربعين من الهجرة بعد وقوع الفتنه وحرب الامام على ومعاوية والخلافات سياسية ومذهبية والحادية .

ولكن من الطبيعى ان ذلك لا يصدر الا عمن لا معرفة ولا عناية لهم بالسنة ولا ثقة للناس بهم ولا صحبة لهم حقيقية مع الرسول . ومن يحاول تقليد شىء لا علم له به يكون أمره مفضوحا واهيا وماذا يفعلون أمام التيار الجارف من الحرص على السنة وقد أحس الثقات بهم فحصروهم فى قوائم سوداء وحصروا معهم الضعفاء هى قوائم الكذابين والوضاعين والضعفاء . وحصروا أحاديثهم فى قوائم الموضوعات .

وقوبلت حركة الوضع الهزيلة من الذين لا عناية لهم بالسنة ولا معرفة لهم بها بحركة قوية جبارة من علماء السنة ووضعوا المقاييس الفريدة والمنهج القويم يساند ذلك الحق والالهام والذوق والملكة

---

(١) تدوين الحديث للعلامة مناظر أحسن الكيلانى فى اللغة اردو طبع المجلس العلمى بباكستان .

ومعرفة أبطال السنة وحرصهم عليها فالتزموا الاسناد يقول محمد بن سيرين عن ذلك : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر الى أهل السنة فيأخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم (١) ويقول ابو العالية : « كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رضينا حتى رحلنا اليهم فسمعنا عن أفواههم (٢) » ويقول عبد الله بن المبارك : الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء وعنه أنه قال : بيننا وبين القوم القوائم يعنى الاسناد (٣) » ويقول سفيان الثورى : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ (٤) ورحلوا من أجل الحديث » ــ يقول سعيد بن المسيب : « ان كنت لأسير الليالى والايام فى طلب الحديث الواحد (٥) » ووضعوا قواعد الاسناد والمتن وقضوا على حركة الوضاعيين » .

ولا يعارض كتابة الحديث فى عصر النبوة والصحابة ما روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكتبوا عنى غير القرآن ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه وحدثوا ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . فان ذلك كان فى بدء الدعوة حتى لا يختلط القرآن بالسنة ولم يستقر الاسلوب القرآنى بعد فى النفوس ، أو كان ذلك النهى بالنسبة لكتاب الوحى خاصة حتى يتفرغوا لمهمة القرآن ، أو النهى كان خاصا لكتابة الحديث مع القرآن فى صحيفة واحدة ، فأنه يدل على الكتابة ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : لما فتح الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان الله حبس عن مكة الفيل

---

(١) مقدمة صحيح مسلم النووى ج ١ ص ٨٤ .
(٢) المحدث الفاصل ص ٢٠ .
(٣) الجامع لاخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٨ .
(٤) الكامل لابن عدى ج ٣ ص ٤ .
(٥) جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٩٤ .

وسلط عليها رسوله والمؤمنين فقام أبو شاه « رجل من اليمن » فقال : اكتبوا لى يا رسول الله • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتبوا لأبى شاه •• وما روى البخارى فى كتاب العلم عن ابن عباس قال : لما انتدب بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعه قال : ائتونى بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده « الحديث » وهكذا كان عصر الصحابة الذين شهدوا الوحى والتنزيل واختارهم الله لصحبة نبيه وجعلهم أعلاما وقدوة ونفى عنهم الشك والكذب والريبة وسماهم عدول الأمة فقال عز ذكره فى محكم كتابه : « وكذلك(١) جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » وفسر النبى صلى الله عليه وسلم وسطا — عدلا — (٢) فكانوا أئمة الهدى وحجج الدين ونقلة الكتاب والسنة والحراس عليها ومعهم التابعون اختارهم الله لاقامة دينه وفقهوا فيه فأخذوا السنة عن الصحابة • « والذين (٣) اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » يقول ابن أبى حاتم (٤) : ندبهم الله عز وجل لاثبات دينه واقامة سنته وسبيله المستقيم • فلم يكن لاشتغالنا بالتمييز بينهم معنى اذ كنا لا نجد منهم الا اماما مبرزا — مقدما فى الفضل والعلم وفى السنن واثباتها ولزوم الطريقة واحتذائها رحمة الله ومغفرته عليهم أجمعين — الا ما كان ممن ألحق نفسه بهم ودسها بينهم ممن ليس يلحقهم ولا هو فى مثل حالهم لا فى فقه ولا حفظ و لااتقان ولا تثبيت أ — هـ •

على أنه قبل أن ينقضى عصر الصحابة أمر الخليفة العادل عمر ابن عبد العزيز بتدوين الحديث فكان التدوين الرسمى بأمر الخليفة على رأس المائة حينما رأى اتساع الفتوحات الاسلامية وانتشار الصحابة فى الأقطار وموت أكثرهم •

روى البخارى فى كتاب العلم من صحيحه • وكتب عمر ابن عبد العزيز الى أبى بكر بن حزم : أنظر ما كان من حديث رسول

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣ •

(٢) كما فى صحيح البخارى من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة •

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٠ •

(٤) مقدمة الجرح والتعديل ص ٩ لابن ابى حاتم •

الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه • فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل الا حديث النبى صلى الله عليه وسلم ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم • فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا •

وابو بكر بن حزم عامله وقاضيه على المدينة :

وأوصاه (١) أن يكتب ما عند عمره بنت عبد الرحمن الأنصارى والقاسم بن محمد بن ابى بكر المتوفى (١٢٠) هـ •

وكذلك كتب الى عماله فى امهات المدن الاسلامية بجمع الحديث فقد أخرج أبو نعيم فى تاريخ أصبهان أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أهل الآفاق : أنظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه • وأمر خليفة للمسلمين كعمر بن عبد العزيز كفيل بأن يشعل الهمم ويصادف القبول فى النفوس المستعدة فتسرع للاستجابة لتنفيذ أمره على خير وجه وقد لبى الأمر الامام الكبير محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى المتوفى (١٢٤ هـ) وللزهرى مكانته وامامته •

ثم شاع التدوين فى الجيل الذى يلى جيل الزهرى •

وكان أول من جمعه بمكة ابن جريج (١٥٠) وابن اسحاق (١٥١ هـ) ومالك (١٧٩) بالمدينة وسعيد بن أبى عروبة (١٥٦ هـ) والربيع ابن صبيح (١٦٠ هـ) وحماد بن سلمة (١٧٦) بالبصرة وبالكوفة سفيان الثورى (١٦١ هـ) وبالشام ابو عمرو الاوزاعى (١٥٦ هـ) وبواسط هشيم بن بشير (١٨٨ هـ) وشعبة بن الحجاج (١٦٠) وبخراسان ابن المبارك (١٨١ هـ) وباليمن معمر (١٥٣) وبالرى جرير (١٧٥ هـ) وبمصر عبد الله بن وهب (١٩٧) •

وهؤلاء كانوا فى عصر واحد لايدرى أيهم أسبق فى التدوين • ومنهجهم فى التدوين جمع حديث رسول الله مختلطا بأقوال الصحابة والتابعين مع ضم الابواب بعضها الى بعض ثم تلاهم كثير من أهل

---

(١) فنون الحديث للخولى والسنة ومكانتها ص ١٢٢ للسباعى •

عصرهم نسجا على منوالهم الى أن رأى بعض الأئمة أن يفرد حديثه النبى صلى الله عليه وسلم خاصة على رأس المائتين فى أوائل القرن الثالث فألفت المسانيد : ومنهج المسانيد أن يجمع أحاديث كل صحابى على حدة وان تعدد الموضوع •

ومن هذه المسانيد مسند عبيد الله بن موسى العبسى الكوفى ومسند مسدد بن مسرهد البصرى وأسد بن موسى الأموى ونعيم بن حماد الخزاعى •

ثم اقتفى الأئمة أثرهم كالامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وهما من أساتذة الامام البخارى وكان منهج هؤلاء مزج الصحيح وهو ما ثبت صحته بغيره •

ثم جاء أبو عبد الله البخارى ••